أحمد النويري

يقدم

مذكرات رحالة

مطبعة النهضة العربية
ت: ٩٠٦٧٨٠

أحمد النويري

يقدم

مذكرات رحالة

مطبعة النهضة العربية
ت ٩٠٦٧٨-١

الاهـــــداء

إلى الرحالة من شباب العالم العربى فى كل مكان

إلى عشاق السياحة والاطلاع

إلى رفيقى فى الرحلة الفنان الضاحك محمد الكور

أقدم الجزء الأول من مذكراتى التى سجلتها أثناء رحلاتى فى أوربا والشمال الافريقى .

أحمد الثويرى



المؤلف

مقدمة

فى الرحلات دراسة وبحث واستقصاء واطلاع .

وفى السياحة متعة نفسية ، واستجمام وترفيه لا حد له ، دراسة على الطبيعة واستقصاء وبحث بين المجتمعات المتباينة العادات والتقاليد ، واطلاع على مختلف المعالم فى كثير من البلدان التى يزورها الرحالة البحاثة المستقصى عن مختلف العلوم ، والدارس لكثير من أوجه الحياة .

لهذا كله قمت بعدة رحلات فى كثير من الأقطار منها ما هو فى شمال افريقيا كالجزائر وتونس والجمهورية العربية المتحدة .

ومنها ما هو فى أوربا كمالطا ، وايطاليا ، والنمسا ، وألمانيا ، وسويسرا وفرنسا ، أقطار تدين شعوبها بأديان مختلفة ، وتتبع فى دياناتها مذاهب متعددة ، وتتكلم بلغات كثيرة وتتباين فى عادتها وتقاليدها ونظم الحياة الاجتماعية فيها والاقتصادية والسياسية ، تختلف عن بعضها اختلافا كبيرا .

ولهذا أيضا قمت بتسجيل انطباعاتى عن هذه الشعوب وتدوين مذكراتى عندما رحلت أجوب هذه الأقطار .

وها أنا أقدم للقارىء العربى الجزء الأول من هذه المذكرات .

رائدى فى ذلك أن يصيب فائدة كبرى .

﴿ والله ولى التوفيق ﴾

القاهرة فى ٣١ أغسطس سنة ١٩٦٤

أحمد النويرى

من طرابلس

شباب كثير من جميع شعوب العالم ، يقومون برحلات لمختلف جهات العالم ، بعض هذه الرحلات للدراسة والاطلاع . . وبعضها للفسحة والترويح عن النفس ، وتختلف وسائل الانتقال والارتحال المستعجلة فى هذه الرحلات . بعضها تكون بواسطة الطائرات والبواخر وبالسيارات والقطارات وفى أغلب الأحيان بواسطة (الأوات استوب) الطريقة المتعارف عليها بين شباب العالم وفى مختلف جهات العالم .

وهذه الطريقة التى يرتحل بها معظم الشباب، ممن يبحثون ويدرسون ويطلعون على حضارات الشعوب ونهضتها ، ونجدها الطارف والتليد سهلة وميسورة وتمكن الجميع من ذوى الدخل المحدود والطلبة السفر والتنقل بين بلدان العالم بأقل التكاليف وأصغر الجهد ، وهى تتلخص فى أن يخرج الشباب الرحالة من البلدة التى يريد الارتحال منها ، ويقف على يمين الطريق المؤدى إلى البلاد التى يقصدها ويشير إلى السيارات المارة بإشارة معينة فتنقله هذه السيارات إن كانت ذاهبة إلى البلدة التى يريدها . وهكذا بهذه الطريقة يمكنه التنقل من بلدة إلى أخرى فى مدة وجيزة وبدون أجرة ، وهى معروفة فى أوربا أكثر من بقية القارات

وفى بعض الإحصائيات يرتحل بها مايزيد عن ٥ ملايين شاب وشابة فى السنة الواحدة .

ولندخل الآن صلب الموضوع فنكتب الجزء الأول من هذه المذكرات نريد بذلك إعطاء لمحة ولو بسيطة للقارىء الكريم عن البلدان التى زرناها ، ومدى الاستفادة والخبرة التى اكتسبناها ،وإنارة السبيل للذين يفكرون فى الرحلة والسفر إلى أنحاء العالم بتكاليف قليلة ، وكذلك تسجيل الانطباعات عن الشعوب والأقوام التى خالطناها أثناء سفرنا .

ابتدأ الأسبوع الأول من شهر يوليو ١٩٦٣ ، وبدايته انتهينا من كل ما يتعلق بسفرنا إلى أوربا ولمدة شهرين كاملين ، حتى تأشيرات دخول البلدان التى أزمعنا زيارتها ، وكان مساء الثلاثاء،والباخرة ترسو بميناء طرابلس، وماأن أشارت عقارب الساعة إلى السادسة إلا وتحركت الباخرة تمخر عباب اليم متوجهة إلى إيطاليا ، وعلى ظهرها مئات من الشباب والشابات وحتى العجائز والأطفال بينهم أنا ورفيقى فى الرحلة محمد الكور ، ومجموعة صغيرة من الليبيين أذكر من بينهم عبد الحميد الجراب ، كنت أنا ورفيقى قد أعددنا كل شىء ما خف ، ودعت الضرورة لحمله كأدوات الحلاقة والملابس الداخلية وبعض المناظر المصورة التى تمثل بلادنا وآثارها وريفها الجميل ، والمصنوعات

الخفيفة والثمينة التقليدية وأشياء أخرى لازمة ولا يكلفنا حملها أو شراءها عظيم جهد ، درسنا الرحلة من جميع الوجوه قبل تنفيذها بأيام فرصدنا المبلغ وحددنا المدة .

وعينا البلدان التى نريد أن نزورها فكانت المدة : شهرين كما أسلفت ، والمبلغ سبعين جنيهاً ليبيا ، والأقطار هى :

إيطاليا ، النمسا ، ألمانيا ، سويسرا ، فرنسا ، تونس ، أى نعم سبعون جنيها زرنا بها معظم دول أوربا وفى مدة دامت شهرين كاملين ، جولة استطلاعية ترفيهية هى عبارة عن لعبة كبرى وسعادة متصلة وسرور دائم .

قد لا يصدق هذا بعض القراء كما لم يصدقه من قبلهم المستمعون لقصة رحلتنا هذه عندما قصصناها عليهم فى عدة مناسبات وهذا ما دفعنى لكتابة هذه المذكرات والطرق التى يجب اتباعها ليشاهدوا أكبر عدد ممكن من الأقطار بأقل التكاليف وليتمكنوا من الدراسة والاطلاع المفيد فى مختلف المجالات ، أربعة جنيهات ونصف عبرنا بهم البحر من طرابلس إلى سيرا كوزا ، ومنها إلى روما بثلاثة جنيهات ونصف وربما هناك من سافر من القراء ودفع أكثر من هذا المبلغ لقطع هذه المسافة .

ولكن لابد أن يكون من الأغنياء الذين يرحلون للراحة والاستجمام ، أما نحن الفقراء ومحبي الدراسة والاطلاع فقد رضينا بالدرجة الثالثة « سبنسة مانجارى » وقطعنا تذكرة كلفتنا أربعة جنيهات ونصف لاجتياز البحر الأبيض المتوسط من طرابلس إلى جنوب إيطاليا ولو كان هناك درجة رابعة أو حتى عاشرة « سبنسة لاكوه » لحجزنا فيها واستغنينا عن الماء أيضا !!

لا بد من تسجيل بعض الحوادث على ظهر الباخرة وفى القطار ، وجميع أحداث الرحلات جديرة بالحفظ والتسجيل ، وما الرحلة إلا حلقات متصلة من المغامرات والمفاجآت السارة والمحزنة على السواء .

لم يختف شاطىء طرابلس الجميل عن ناظرينا إلا وقد أغربت الشمس وبدأت طلائع الظلام تزحف على الكون ، وما أن خيمت عليه إلا وخيم السكون أيضاً إلا من صوت ارتطام الباخرة بأمواج البحر التى بدأت تعظم كلما توغلت الباخرة نحو الشمال ومضى من الليل جزء أكبر وهبت نسمات الصيف الباردة ، أخذنا إلى الراحة والنوم حوالى الحادية عشر تقريبا ، تناولنا طعام العشاء ، وكسرنا كثيراً كلمات قليلة من لغة الإيطاليين ، فقد كان بالصدفة والجوار معنا أحد الإيطاليين العائدين صيف عام ١٩٦٣ إلى بلادهم ، بعد أن باع

مزرعته التى كان يملكها فى ليبيا بآلاف من الجنيهات الاسترلينية ذات القيمة المرتفعة فى الأسواق الخارجية ووضعها فى جيبه بسلام عائدا بها إلى وطنه الأصلى ناويا إقامة مشروع من المشاريع ما فى ذلك شك، قلت كسرنا معه كلمات إيطالية قليلة محاولين التفاهم معه للتمرن على التفاهم مع أهل البلدان التى نريد زيارتها فى إيطاليا ،ولكن لا هو فهم شيئا ولا نحن استطعنا أن نفهمه لا قليلا ولا كثيراً ، وقلت تناولنا طعام العشاء ولا أخفى عليكم ، كان عبارة عن: « خبزتين بقرش ونصف كيلو عنب وحكة سردينة وكعبة طماطم وكاشيك هريسة وعلى ما أذكر رأس فلفل أخضر ، وكان صدقنى ربى قلعاوية ميزانها ٩ ميات غرام ، وعلى فكرة كل هذا قد اشترى من طرف زميلى ، ومن طرف الباب الجديد » ومن بقية نقودنا التى بقيت بعد أن حولنا عملة عالمية «ترفلينق شيك » هذا هو عشاؤنا الأول على ظهر المالح ، وهو عشاؤنا كل ليلة طيلة مدة الرحلة بل وغداؤنا أيضا .

وصلت بنا الباخرة مالطا صبيحة يوم الأربعاء ، ومن الباخرة ركبنا القوارب الصغيرة التى أقلتنا إلى شاطىء الجزيرة الحالمة ومن الشاطىء انتقلنا إلى قلب المدينة فتجولنا فى شوارعها وميادينها القريبة من الميناء لمدة ساعة كاملة .

واشترينا بعض المناظر «الكارتونينات» لنبعث بها إلى الأصدقاء،

والأهل والأقارب ثم استأنفنا رحلتنا عـــبر البحر وعلى ظهر الباخرة نفسها إلى سيركوزا ، ومن مالطا ازداد عدد ركاب السفينة عن ذى قبل ، وانبعث فيها جواً جديداً ، كله سرور ذلك لأن الراكين من مالطا كانوا كلهم من الشباب والشابات والمالطيون قد أخذوا بأسباب الحضارة الأوربية والحرية الشخصية أكثر من سكان شمال أفريقيا ، حتى ولو كانوا من اليهود والإيطاليين ، ولم يمضى بعض الوقت إلا وكان الشباب من الجنسين ، فى حلقات للرقص على ظهر السفينة ، رقص كله من الغرب ، من الروك أندرول إلى التوست ، واتشاتشا وغيرها .

صعدت أنا ورفيقى على ظهر السفينة قصد الفرجة على أمواج البحر العاتية واستطلاع الشواطىء التى نقصدها ، فإذا بنا نفاجأ بهذه المشاهد الراقصة ، وهؤلاء الشباب فى حيويتهم ونشاطهم ومرحهم استهوانا هذا العالم الصغير بما فيه فجئنا لنعيش فيه ولو لبعض ساعات قبل أن يزول بوصول السفينة إلى البر ، وتفرق الركاب بين شوارع سيراكوزا وأزقتها وميادينها المتسعة ، وما أن وقفنا بجانب مجموعة من الشباب الراقص ، حتى تنبه لنا بعضهم فدعانا لمشاركتهم رقصهم وكانت على ما أذكر رقصة التويست ، ونحن أى أنا ورفيقى لانعرف من التويست إلا الاسم بل حتى الاسم لم نعرفه إلا ذلك الحين ،

اعتذرنا ولا أدرى بما قوبل اعتذارنا ، وانتهت الرقصة فإذا بنا نحاط بمجموعة من الشباب أغلبهم حسنوات فى عمر الورد ، وبدأت الأسئلة أسئلة كثيرة وبلغات عديدة ، بعضها بالإيطالية ، وبعضها بالمالطية ، والمالطية خليط من عدة لغات ، والبعض الآخر بالإنجليزية ، ولم نكن نفهم الإيطالية ولا المالطية ، ونحن معذورون فى عدم فهم المالطية لكن الإيطالية ، فهذا أمر مستغرب خصوصاً من ليبيا ومن طرابلس بالذات ، كانت أجوبتنا بالإنجليزية عما سؤلنا عنه ، دارت الأسئلة حول جنسيتنا وديننا ، وأحاديث عامة حول بلادنا ، وبصورة شخصية فى بعض الحالات ، وانتهى الحديث ، وزالت الكلفة أو الكلفتة قليلا وبدأنا نتخلى عن جمودنا المعهود ، والتقمص للشخصية الجادة دائماً حتى فى مواطن الهزل

تحررنا نوعاً من البرتوكولات التى تفرضها تقاليدنا وقيمنا ومعاصيرنا الاجتماعية خصوصا مع المرأة بهجة الحياة ، وأجمل شيء فى هذا الوجود ، رفعت عنا الحواجز وفكت القيود لأول مرة وانطلقنا مع الشباب والجمال والهزل والحرية ، وما أجمل هذه الأشياء عندما تجتمع فى آن واحد .

كان رفيق فنانا شعبياً أصيلا ، يتقن جميع ألوان الفنون الشعبية من عزف ورقص وفكاهة وطرب ، وصاحب نكتة مستملحة ،

وحركات كلها تحوز الإعجاب وتستولى على الجميع، وكان جرىء مغامراً يحب التجربة ولا يأبه بالنتيجة، وإن كانت فى أغلب الأحيان مضمونة النجاح مقدماً .

غاب قليلا بعد أن وعد رفاقنا الجدد أعنى شباب مالطه الراقص الضاحك للحياة بالعودة ، ثم عاد يلبس بعض الملابس القومية وبيده دربوكة من النوع الممتاز .

—•—

حفلة صغيرة

نقرات على الدربوكة صنعت أنغاماً فحركت الشباب من الجنسين فانتظموا في حلقات للرقص رقص جميل بديع وأنغام شجية حركت في الجميع كوامن خفية فخلقوا في عالم آخر عالم جميل كله مرح وطرب وابتهاج بالحياة كانت الرقصات من مالطة جزيرة الأحلام والأنغام من ليبيا فكان فلوكلور مشتركا ليساير بها رقصات المالطيز والإيقاعات التي ابتدعها زميلي الفنان على براعاته العظيمة في العزف ولم يكتفي بذلك بل وضع لهم أنغاماً لرقصة التويست أيضاً والروك اندرول والتشاتشا كل بنقراته الجميلة على الدربوكة ولم ننتبه لشيء إلا على صوت بوق الباخرة يعلن وصولنا إلى سيراكورا تفرق عالمنا الصغير الذي كنا ننعم فيه بأوقات سعيدة وأخذ كل واحد يستعد للنزول وما هي إلا ساعة أو بعض ساعة كنا بعدها ننتقل من شارع إلى شارع في مدينة سيراكوزا نشق طريقنا إلى محطة القطار حيث نواصل سفرنا إلى روما .

وكانت ليلة فى القطار سهرة بالمجان رقص وغناء وطرب وأحاديث اشترك فيها المسافرون من شباب وشيوخ قد ذهبت كل مذهب سياسة واجتماع وتاريخ وعلم ، بل حتى التكسير بالأديان أخذ نصيبه فى الحديث فهذا الجاس من إحدى مدن جنوب إيطاليا يجلس بالصدفة بجوارنا أخذ يحدثنا عن الدين المسيحى بصورة عامة والمذهب الكاثوليكى على وجه الخصوص رائده على ذلك أن يضمنا إلى أتباعه وبعد نقاش طويل خرج منه خاسراً واكتفى بالنظر إلينا من طرف خفى وأخذه العجب ونحن نستولى على الجميع وانضمهم إلينا بعد أن نستهويهم بفننا الشعبي الأصيل وحديثنا اللبق معهم عن كل شيء ولا يفوتنا فى هذه الفرصة أن نستغلها فى الحديث عن بلادنا وشعبنا والدعاية لها ولا تستطيع أن تدعو لبلادك وتستهوى الآخرين إلا أن تكون محدثاً لبقا وتملك شيئاً من وسائل جذب الانتباه ، وقد كنا كذلك ليس بمحض الصدفة وإنما عند استعداد وتحضير قبل سفرنا بل كان ذلك من ضمن التجهيز لهذه الرحلة التى قمنا بها ليس لغرض الترفيه والترويح عن النفس وإنما للدراسة والاطلاع وللاستفادة والإفادة .

كانت رحلتنا من سيراكوزا إلى روما بالقطار ممتعة للغاية لم نشعر فيها بتعب السفر ولا بملل الانتظار وكانت كل الساعات التى

قضيناها عبارة عن فرح متصل وابتهاج بالحياة دائم وسرور زائد عن الحد كانت لعبة كبرى كنا أبطالها على الدوام ولم يفوتنا ونحن نستقل القطار أن نشبع ناظرينا من النظر فى مناظر الروعة والجمال على جانبى الطريق حيث الطبيعة الساحرة من جبال تكسوها الغابات وقرى تظهر بين الحين والحين على سفوح تلك الجبال وأودية تجرى فيها المياه العذبة الباردة وسماء تغشيها سحب خفيفة ونسمات رطبة تهب علينا كنسمات الربيع .

أشرفنا على روما مدينة الفن والجمال وعاصمة الحضارة والتاريخ فإذا بها تطالعنا بمبانيها ذات الطابع الكلاسيكى وشوارعها الفسيحة وميادينها التاريخية ونافوراتها ذات السحر والجمال نزلنا فى محطة روما للقطارات وهى أعظم محطة فى أوربا قاطبة وبها من زحام الناس الشديد ما لو أحصى عدده لتعدى الملايين وفى المحطة أودعنا الحقائب بعد أن أخذنا منها ما خف حمله ولزم استعماله ثم قصدنا على بركة الله بيت الشباب ولابد من إعطاء القارىء لمحة ولو موجزة عن بيت الشباب هذا الذى نقصده .

فكرة بيوت الشباب هذه فكرة معمول بها فى جميع بلاد العالم وهى تسهل على الشباب الرحالة الإقامة فى البلاد التى يقصدها سواء

قصد الدراسة والبحث أو الراحة والاستجمام والمبيت فيها برسومات رمزية قد لا تتعدى العشرة قروش ليبديه فى أغلى البيوت وهى نظيفة ومرتبة وبها جميع متطلبات الحياة ، وأحسن بكثير من الهوتيلات الشعبية عنـــدنا غير أنها فى الغالب ما تكون فى أطراف المدينة ولكنها مضمونة المواصلات بل لا تستغرق ١٠ دقائق فى أكثر الأحيان فى الوصول إليها من قلب المدينة بالمترو السريع ، وتسع ما يزيد عن ٢٠٠ سرير ولا بد أن يكون ملحقاً بالبيت حديقة وصالة لمختلف الألعاب وبار ومطعم ومكان للحفلات وبها إدارة تمنح الشباب الذين يرغبون المبيت فى بيوت الشباب فى مختلف مدن العالم بطاقات تخول لهم ذلك .

وتجدد للذين انتهت مدة صلاحيـة بطاقاتهم من أية جنسية كانوا بعد دفع رسم اشتراك لا يتعدى الجنيه ، وهذه البيوت بهـا كما قلت مطاعم تقدم وجبات كاملة بثمن بسيط كما تباع فيها المشروبات بثمن أقل من خارجها ، وكل ما فيها أرخص بكثير ممـا فى السوق وهى لا تعطى الأولوية لمن أقل من ١٩ سنة ثم لمن تحت ٢٦ سنة إذا اشتد عليها الطلب ، غير أنه لا يوجد فى المدينـة الكبيرة كروما مثلا أقل من ٣٠ بيتاً للشباب بأى حال ، هـــذه لمحة بإيجاز عن فكرة بيوت الشباب فى العالم والتى لا بد من الاستعانة بها للذى يريد أن يزور أكبر عدد ممكن من البلدان وبتكاليف قليله .

نزلنا فى بيت للشباب فى روما قريباً من (بياتسه فينتا وهو أكبر بيت للشباب فى العاصمة الإيطالية لوقوعه فى وسط المدينة ولسهولة الاهتداء إليه ولشهرته بحفلاته الساهرة التى يقيمها كل ليلة ، حيث يقصده شباب من مختلف الجنسيات . جلسنا فى الحديقة مع مجموعة من الشباب كانوا قد وصلوا قبلنا فى انتظار ابتداء العمل المسائى للقائمين على شئون البيت وما أن تناولنا شيئاً من المأكولات الخفيفة والمشروبات فى البوذية حتى جاء الموظف المسئول وبدأ يستقبل الشباب الوافد من كل مكان فى نظام وسرية وعندما وصلنا الدور أخبرناه بأننا نريد الحصول على بطاقات جديدة إذ ليس عندنا فى بلادنا جمعية للشباب فأعطانا ذلك بعد أن دفعنا الرسوم المطلوبة ، حجزنا فى ذلك البيت أربعة أيام وهى أقصى مدة يجيزها البيت للزائر فى حالة اشتداد الطلب ثم استلمنا أرقام أسرتنا وخزائننا لحفظ أمتعتنا وبعدها نزلنا إلى المدينة بعد أن ضمنا الإقامة فى روما لمدة أربعة أيام بأجر زهيد قضينا أمسية جميلة متجولين بين ميادين روما الواسعة التى تتوسطها النافورات ذات التماثيل التاريخية الشهيرة وأرصفة شوارعها النظيفة التى تقع عليها واجهات المحلات التجارية الضخمة ثم عدنا أدراجنا بين زحام الناس حوالى السابعة مساء وما أشد زحام روما فى هذا الوقت بالذات .

عدنا إلى بيت الشباب لتناول طعام العشاء ثم لنستعد بعد ذلك للسهرة العامة التى يقيمها بيت الشباب كل ليلة ويشترك فيها شباب من مختلف أنحاء العالم كل يقدم لوناً من فنون بلاده ، وما أن جاءت التاسعة مساء حتى كانت صالة السهرات ببيت الشباب تعج بهم من كلا الجنسين ومن مختلف الشعوب بما فيهم إسرائيل ، وما أكثر الشباب الإسرائيلى الذى يرحل فى كل زمان خاصة إلى أوربا داعياً لحق شعبه من شذاذ الآفاق فى أرض العرب ، نعم ما أكثرهم وما أنجح دعايتهم فى الغرب إنها تفعل فعل السحر فى شعوب أوربا .

كان منهم عدد كبير ويتكلمون بلغات كثيرة ولا عجب فى ذلك فهم الخارجين عن القانون والساقطين من حثالات اليهود فى كل شعب من شعوب العالم إنهم هم كذلك من أسقط الساقطين ومن رواسب الحثالات من بنى إسرائيل فى كل بلد جاءوا إلى أرض العرب يرتحلون فى كل بلد داعين فى دجل وزور وبهتان مطالبين باستمرار المساعدة من أجل تثبيت أقدامهم فى أرض العرب المغتصبة فهل فكر العرب فى رحلات من هذا النوع أى على الصعيد الشعبي وليس على الصعيد السياسى ليضعوا النقاط على الحروف ويصححوا ما فى أذهان الناس البسطاء وهم السواد الأعظم من الشعوب ما علق فى أذهانهم من صور مشوهة عن العرب اوضطهادهم لليهود

واغتصابهم لأرضهم وهو العكس تماما ، إذ هـذا هو ما يفعله اليهود مع عرب فلسطين .

إن ارتحال الشباب العربى فى دول الغرب التى تسـاند إسرائيل واختلاطهم بمختلف قطاعات الشعب وعلى صورة صـداقات فردية كفيل بإيجاد نتائج باهرة فى صالح العرب ، وضد إسرائيل شرط أن يكون هـذا الشباب الرحالة على درجة من الوعى والتفهم لقضية العرب العادلة قضيه فلسطين ، وأن يكون ملماً بعدة لغات أهمها لغة العـالم الانجليزية إنه صراع مع إسرائيل لا بد منه .

كانت السهرة فى بيت الشباب جامعـة لمختلف الأجناس كما قلت وقدم فيها من ألوان الفنون الشعبية الـكثيرة من مختلف بلاد العالم ، وكانت ألوان من فننـا الشعبى الأصيل ضمن فقرات برنامج السهرة قدمت من طرفنا فحازت الإعجاب. وطلب إعادتها من طرف المتفرجين مرات و بإلحاح ، وانتهت السهرة فإذا بنا نحاط بمجموعات من الشباب ومن مختلف الجنسيات بمـا فيهم شباب إسرائيل وبدأت الأسئلة ، والصداقات والحديث الطويل عن كل شيء وأبرز شيء تحدثنا عنـه بالطبع ، قضية فلسطين تحدثنا حـديثاً طويلا مقنعاً مع كل الشباب حتى شباب إسرائيل وكان حديثنا تصحيحاً للمفاهيم الخاطئة عن قضية العرب عنـد بعض الناس ، وإعلام الذين لا يعرفون عنها شيئاً عن

ماهيتها وسببها ، ومدى الظلم والإجحاف الذى لحق العرب من جرائها وإنها نكبة أصابت العرب حيث سلب وطنهم وشردوا فى الصحارى واغتصبت أموالهم وممتلكاتهم وكان هذا كله بمساعدة الغرب الذى يعطف على إسرائيل وهى التى لا تعرف للشفقة ولا للعطف معنى ولاقى حديثنا صدى فى النفوس كما ظهرت بوادر الدهشة والعجب على وجوه الذين استمعوا إلى دعايات إسرائيل الكاذبة من قبل وعرفوا أن الأمر ما هو إلا تضليل وتزييف وادعاء فارغ ودعايات مغرضة تروجها إسرائيل بمختلف الوسائل بين شعوب الأرض .

كانت هى تلك الليلة الأولى فى بيت الشباب فبعد أن انتهت السهرة خلدنا إلى النوم وقد شعرنا بأننا أدينا واجب مقدس لازم الأداء نحو قضية كلنا جنودها والدفاع عنها بمختلف الوسائل ضرورة يحتمها إخلاصنا للوطن العربى فى كل زمان ومكان .

وفى صبيحة اليوم التالى وحوالى الثامنة استيقظنا من النوم وبعد طعام الإفطار فى مطعم البيت خرجنا إلى المحطة فى انتظار المترو الذى سيقلنا إلى أحياء روما القديمة وكان برفقتنا فى هذه الجولة آلة التصوير والمذكرة والقلم ، هــذه روما القديمة أحياء توحى بالعظمة والهيبة والجمال ، شهدت أو شهدها التاريخ تحكى قصصاً ناطقة وتاريخا مجسما فى صراعها مع الزمن كانت جولتنا صباح ذلك اليوم ممتعة للغاية

ومفيدة أكثر ، حصلنا خلالها على صورة تذكارية مع الزوار ومع التماثيل التى تزين حدائق تلك الأحياء وكذلك كثير من المعلومات التاريخية القيمة فهذه قصة بناء تلك الأحياء يحكيها عجوز مسن وهذه لوحات رخامية ملصقة بقواعد التماثيل المختلفة تبين تاريخ تلك التماثيل ولماذا ترمز ومن بناها وكيف ، وهذا أثر من الآثار وذاك بيت على النمط القديم وأشياء أخرى كثيرة جديرة بالمشاهدة والدراسة ، وجاء المساء وعدنا أدراجنا إلى بيت الشباب فوجدنا بعضا من الشباب قد غادر بيت الشباب ووفد بعض آخر ، ويمر الوقت فى لمح البصر حيث لاشعور بمرور الوقت مع مباهج الحيـــاة مع اللهو والطرب والجديد ، وللجديد لذة ويأتى موعد السهرة فإذا بصالة البيت تعج بالوافدين الجدد من الشباب وبقية قدماء الوافدين الذين لم تنتهى مدة إقامتهم فى البيت بعد ، ويحدث ما حدث بالأمس سهرة عامة وبرنامج حافل وألوان من مختلف فنون الشعوب .

هكذا كانت إقامتنا فى روما عاصمة الحضارة والتاريخ ، وخرجنا منها بعد أن أقمنـا فيها أربعة أيام زرنا خلالها ما أمكننا من معالمها الأثرية وحدائقها وميادينها وحتى أسواقها المسيحيين وكعبتهم التى يحجون إليها ، ثم ودعناها على أمل العودة إليها مستقبلا إلى عاصمة الوسط ومدينة الخضرة والمياه فرينزيا .

في فيرنزيا

قلت غادرنا روما إلى فيرنزيا فى اتجاه وسط وشمال إيطاليا ، والمسافة بين روما وفرينزيا حوالى ساعتين بالقطار السريع ، وكان خروجنا من روما مساء ، فوصلنا إلى بيت الشباب فى فرينزيا فى وقت متأخر مما فوت علينا فرصة الحصول على أماكن ، بسبب كثرة الوافدين إلى هذه المدينة الجميلة ، وذات الشهرة التاريخية العظيمة التى استمدتها من كثرة الكنائس فيها والتى تشتهر بطابعها الخاص ، ورسومات كبار الفنانين الإيطاليين وأسراب الحمام الأبيض المستوطن لتلك الكنائس وصلنا فرينزيا مدينة الخضرة والمياه والجبال الشاهقة المكسوة بالغابات الكثيفة ، والأودية الفسيحة التى تجرى فيها الأنهار العذبة ، تروى ما استنبت فيها رياً دائماً منتظماً وكان أن بتنا تلك الليلة فى أحد « البنسيونات » بعد أن دفعنا ١٠٠٠ ليرة إيطالية أى ما يساوى ٦٠ قرشاً ليبياً وهو مبلغ كبير لم ندفعه فى روما طيلة إقامتنا بها ثمناً للمبيت ، وكانت هذه غلطتنا ، ودفعنا الثمن باهظاً ستون قرشاً مبلغاً محترما دفعناه ثمناً لمبيت ليلة واحدة إنه إسراف ، وكان الواجب أن نبعث للبيت برسالة نحجز فيها أماكن طيلة مدة إقامتنا فى فرينزيا ولكن كان خطأ وسنستفيد منه على كل حال ، بتنا تلك الليلة عند « ماما روما » كما يسمونها فى ذلك الحين وهى عجوز يظهر أنها

عاصرت عصوراً ما قبل العصور الوسطى ، وكفرنا عن خطأنا الكبير الذى دفعنا نتيجة له ضعف ما يجب أن ندفعه ثمناً للمبيت وذلك بأن قررنا بالإجماع — أنا ورفيق — إلغاء وجبة العشاء تلك الليلة ، وفى الصباح الباكر استيقظنا وبسرعة ودعنا ماما روما وتوجهنا حالا إلى بيت الشباب لحجز أماكننا قبل أن تحجز كل الأماكن ، وبعد أن ضمنا المبيت لمدة ليلتين فى بيت شباب فرينزيا توجهنا إلى المطعم الملحق به ، فتناولنا إفطاراً رخيصاً ثم جلسنا فى الحديقة على بساط أخضر من الحشائش الخضراء ننعم بحرارة الشمس الدافئة ، وكأننا فى أيام الشتاء بينما نحن فى المنتصف الأخير من شهر يوليو ، وبعد استراحة قصيرة هممنا بالخروج إلى المدينة لمشاهدة معالمها وللفرجة والترويح عن النفس ، وقبل أن نتخطى المدخل الرئيسى لبيت الشباب وصلت قافلة من السواح ، تقلها سيارات كبيرة من ميلانو بعد أن قامت بزيارة معظم الأقطار الأوربية وهذه القافلة كلها من الطلبة والطالبات فى المرحلة الثانوية مع مدرسيهم فى دراسة تطبيقية خلال العطلة الصيفية ، إنه نظام معمول به فى الدول التى أخذت بأسباب التربية الحديثة ، واهتمت بالدراسة التطبيقية بالدرجة الأولى ، ولا شك أن هذا النوع من الدراسة ترفيهى مفيد ، وينمى فى الطالب روح البحث والتنقيب والاطلاع ، وحب المغامرة والرحلات ، كانت هذه القافلة من

إيرلندا عبرت البحر وقطعت آلاف الأميال فى أراض أوربا قبل أن تصل إلى وسط إيطاليا . لتقف على معالم البلاد التى تزعمت النهضة الأوربية فى العصور الوسطى وبالأحرى البلاد التى انتقلت إليها عن طريقها حضارة الشرق ، أيام كانت أوربا تتخبط فى بيداء الجهالة وعصور الظلام ، بقينا مع تلك القافلة نتناقش الأفكار والآراء فى مختلف البحوث والعلوم فالشباب الإيرلنـــدى مغرم بالاستقصاء والبحث والمناقشة المنطقية وكان أن مر الوقت دون أن نتنبه لمروره ، ودخلنا المطعم لنتناول طعام الغذاء ، مع الشباب الوافدين من كل مكان ، وكانت الصداقات والحديث عن كل شيء كما هو الشأن فى كل يوم وفى كل بيت للشباب ومع مجموعات جديدة من الشباب .

وفى هـذا اليوم بالذات إلتقينا بشابين مهذبين من تونس يقومان برحلة فى أوربا . ولنفس الغرض الذى نقوم من أجـله برحلتنا ، وإن اختلفنا فى خطط السير ومدة الإقامة ، والمبلغ المقدر لهـذه الجولة ،كانا ينويان الذهاب إلى سويسرا من إيطاليا عن طريق ميلانو ومن سويسرا إلى ألمانيا فهولندا ثم إلى الدول الاسكندنافية وكنا قد قررنا الذهاب إلى النمسا عن طريق البندقية عبر جبال الإلب ثم إلى ألمانيا ومنها إلى سويسرا ففرنسا ثم العودة إلى أرض الوطن عن طريق تونس ، قلت التقينا بهذين الشابين من تونس فكانا خير

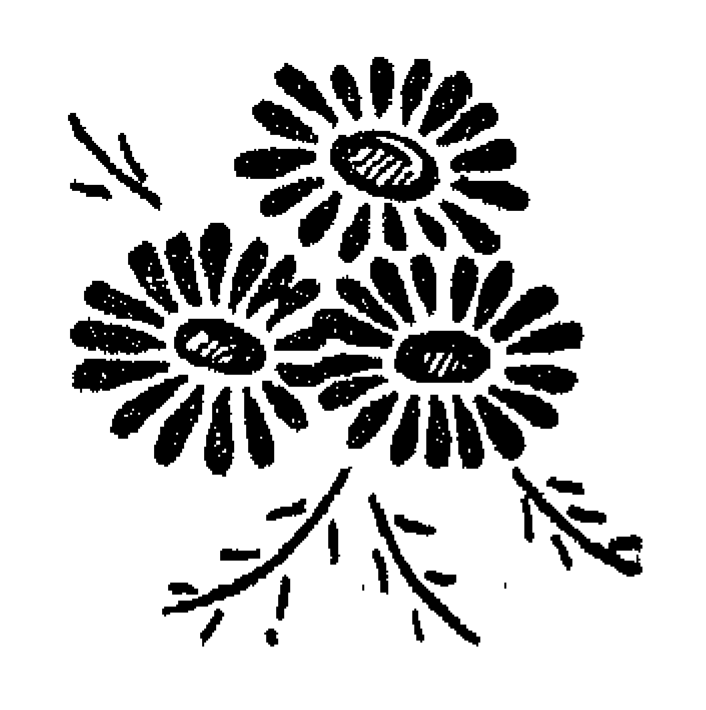
رفيقين لنا مدة إقامتنا فى فرينزيا وقد تعاونا على إظهار الحقائق التى تكشف أكاذيب الشباب الإسرائيلى الذى يحل فى كل مكان ويسمم الجو بافتراءاته وادعاءاته التى يروجها زوراً وبهتاناً ضد العرب.

وقد حدثت الألفة بيننا من أول وهلة وقدمنا برنامجاً مشتركا فى الحفل الساهر الذى أحيته مختلف وفود الشباب ببيت الشباب، فكانا من الفنانين العارفين بجميع ألوان فنونهم الشعبية ومن الشباب الواعى المتفهم لكل شىء وقد كانا يترجمان لنا ما يقال بالفرنسية ونترجم لهما حديث الذين يتكلمون الانجليزية، وبقينا يومين كاملين بمدينة فرينزيا بلد الحب والجمال والحرية الزائدة عن الحد، والمستوى المعيشى الراقى خلاف مدن الجنوب الإيطالى كنابلى وسيراكوزا وحتى روما وفى فرينزيا عشنا ساعات من العمر هى والحق يقال إنها تختلف عن بقية ما مضى من ساعات العمر، ساعات كلها سرور دائم وسعادة متصلة، وحياة هانئة لا تكدرها شائبة، ولا يعكر صفوها شىء، شباب وجمال وحرية وفراغ.

أشياء كلها تصنع الحياة الهانئة وتبعث فيها جواً آخر، جو جميل منعش لذيذ، كانت أيام حسبناها ساعات ووددناها أعواماً ولكن ليس كل ما يتمنى المرء يدركه، وقد أدركنا ما كنا لا نطمع حتى فى مجرد الحلم به، إنها الحقيقة وقد حسبناها خيالا أكثر من مرة،

ولولا أننا فى أوربا لأجزمنا إنما خيال حتى ولو كانت حقيقة ، ولكن فى أوربا جائز كل شيء ولم نصدق هذا إلا عندما شاهدنا بأعيننا ما لم تصدقه الأذن ومالا يخطر على البال لا فى اليقظة ولا فى المنام ، لا أرغب بكلامى هذا الذين لم يشاهدوا أوربا بعد فى زيارتها فليس لى فى هذا شأن ولكنها الحقيقة أقولها ، والتزام الصدق شيء محبوب جميل ، خرجنا من أجمل مدينة فى وسط إيطاليا إلى بوانيا وهى لا تبعد عنها بكثير ٢٠٠ ك م على وجه التقريب وفى هذه المدينة أيضاً ما فيها من متع لمن يطلب متع الحياة ، وفيها من معالم المدنية والحضارة طارفها وتليدها الشيء الكثير ، وكذلك منابع المعرفة والعلم تزخر بها هذه المدينة التى تقع فى سهل منبسط تحيط به الجبال من كل جانب ، وجوها صالح للدراسة والتحصيل ، ولهذا وجدت بها جامعات لدراسة الهندسة والطب يقصدها الذين يتابعون الدراسة من كل مكان فى إيطاليا وخارجها ، وقد وجدنا بها بعثة ليبية من طلبة مدرسة الفنون والصنائع الإسلامية يتدربون على مختلف المهن ، ليعودوا إلى وطنهم جنوداً مسلحين بسلاح المعرفة والعلم ليساهموا فى خدمته على أسس مدروسة وفهم راسخ .

قابلنا هؤلاء الإخوة بترحيب زائد وسألونا عن أخبـار الوطن بصورة عامة وساعدونا فى الاطلاع على معـــالم البلاد فتمكنا من الاطلاع عليهـا فى يوم واحد ، سافرنا بعده قاصدين مدينة الجندول البندقية « فنيسيا » ومنها ركبنا القطار إلى فينا عبر جبال الإلب ، وفى القطار أخبار جديرة بالتسجيل .



فى مدينة الجندول

بقينا فى فيينا مدينة ليالى الأنس، وأجمل عواصم أوربا الشرقية أربعة أيام كاملة ، كنا قد اطلعنا خلالها على معظم معالمها ، وهى مدينة تشتهر بنظافتها ونظامها ، كما تشتهر بحدائقها العامة الواسعة والتى تتوسط أحيائها الرئيسية فهى تنقسم إلى أحياء رئيسية أو مدن مستقلة عن بعضها البعض . تكون فى مجموعها مدينة فيينا العظيمة فهناك ، فيينا رقم ١ وفيينا رقم ٢ إلى غاية رقم ٢٠ ، ولفيينا ماض مجيد ، يأتى من شهرتها التاريخية ، كما يفتخر بحاضرها فى كل شىء ، ونحن وإن كنا قد استمتعنا طيلة إقامتنا فى فيينا بكل شىء ولأبعد حدود الاستمتاع ، أقصد المتعة غير الحسية ، فإننا قد رأينا العجب العجاب فى (سالزبورق) ثانى مدينة زرناها فى النمسا وهى مدينة بتهوفن العظيم .

عجبنا فى فيينا سماحة أهلها ومساعدتهم للغريب ونبلهم الذى يدل على إصالة فى النبل ، أقول هذا عن عامة الناس وفى مختلف القطاعات التى اختلطنا بها ، وعجبنا أكثر نظام المرور فى شوارعها المزدحمة بالناس والسيارات والقطارات وجميع العربات الآليـــة المختلفة ، وأعجبنا بجمال الفتيات فيها دون غيرها من المدن ، جمال طبيعى اخاذ خال من الزيف ورتوش الزينة ، بالنسبة للغالبية منهن .

كانت من الإيطاليين عندما كنا فى أرض إيطاليا ، ومن مواطنى النمسا عندما دخلنا أرض النمسا ، وكانت الأحاديث مع هؤلاء الشباب تأخذ مضارب شتى وإن كانت الأكثرية تنحو ناحية الأحداث العالمية السائدة وقتها ، ومن أبرزها قضية السلم والحرب العالميين والمساعى المبذولة من طرف أصحاب الشأن لتجنب الكوكب الأرضى الدمار والفناء الذى لا حياة بعده ، ولا تخلو أحاديثنا مع هؤلاء الشباب من وصف بلادنا ، ونهضتنا ومدى مساهمتها فى خدمة العالم فى شتى المجالات كالنواحى السياسية والإجتماعية والإقتصادية ، وانقضت تلك الليلة ونحن نتجه صوب فيينا فى حديث ورقص وطرب ، لم نشعر معه بحاجتنا إلى النوم ، على الرغم من أن هناك أسرّة معدة للنوم داخل غرف خاصة بالقطار ، ومع تباشير الفجر بدأ يداعب أجفان الجميع السكرى فأخلد بعضهم للنوم فى مضاجع خاصة بغرف النوم ، بعد دفع الأجرة طبعاً ، وغالب البعض الآخر النوم فبقى حيث هو محتفظاً بنقوده ، ولا أنسى ذكريات تلك الليلة ، والتى أبرزها المقلب الذى شربه زميلى ، فقد تركته حيث كنا نجلس مع بعضنا فى الدرجة الثانية مع أسرة يوغوسلافية مسافرة ، وذهبت بدافع الفضول أطلع على مختلف غرف القطار وفى أثناء تجوالى بعنابره دخلت غرفة للنوم خاصة فاستهوانى فراشها الوثير ولم أكن أحلم به حتى فى الإقامة ، فارتميت عليه فى إعياء ، وبعد سير مسافة ليست بالطويلة ، شعرت بحركة

دخولى فى غرفتى ، أو بالأصح غرفة الداخل نفسه ، كان الداخل امرأة فى العقد الثالث من عمرها تحمل فى يدها حقيبة سفر صغيرة ومظلة واقية للمطر ، ولما وجدت العبد لله فى غرفتها التى كانت قد حجزتها بالتليفون منذ إقلاع القطار من أول مدينة مررنا بها فى أرض النمسا ، وكانت تقصد فينا — عرفت هذه المعلومات فيما بعد —

لما وجدتنى داخل غرفتها سألتنى إذا ما كانت هى مخطئة فى الاهتداء إليها ، ومدت إلى بالتذكرة التى فيها رقم الغرفة لأتبينه ، فقلت لها صحيح إن هذه غرفتك وأنا هو المخطىء ، وهممت بالخروج ، فإذا هى تسألنى : ظاهر أن السيد ليس من النمسا ولا حتى من أوربا فقلت نعم أنا من الشرق قالت بودى أن أتحدث معك ما دمت من الشرق ، فهل لك مانع وإنى على استعداد أن أنتقل معك إلى غرفتك إذا لم ترد أن تبقى هنا فى غرفتى قلت لا ليس لدى مانع وسنبقى هنا ما دامت غرفتى بالدرجة الأولى تماماً كغرفتك ولم تدر بالطبع أنه ليس لى غرفة خاصة بها سرير وصالون ، وإنما مكانى فى الدرجة الثانية وهو كرسى من الخشب ، جلست معها فى صالون الغرفة . وأخذنا نتحدث فى حدود التعارف أولا ، وجاء الساقى فطلبت هى مشروباً نسائياً خفيفاً ، ولكن فيما علمت بعد ، له مفعول شديد يبعث النشوة فى الإنسان ، ولا أعلم بما فسرت هى وحتى الساقى طلبى هذا ، ولكنه طلبى الذى يلائمنى على كل حال . فالوقت حوالى الثانية بعد منتصف

الليل ، والنوم بدا يحاول الاستيلاء على استيلاء كاملا ، علمت منها أثناء الحديث أنها مدرسة جغرافيا وأنها تعرف عن بلادى والشرق عامة كثيراً من المعلومات الجغرافية كالتضاريس والمناخ والموارد البشرية والطبيعية ، وكذلك تعرف طبيعة أهل الشرق ونظمهم الاجتماعية وتقاليدهم ، وذلك من دراستها الخاصة فى بعض الكتب المكتوبة باللغة الألمانية أو المترجمة إليها ، وعلمت هى من حديثى أننى زميلها فى المهنة ، وقد سألتها عما يتقاضى المدرس فى المرحلة الثانوية عندهم ؛ فأخبرتنى برقم يعادل الجنيه الاسترلينى ، ويساوى ما أتقاضاه خمس مرات . ولما سألتنى عن مرتبى أخبرتها أنه يساوى مرتبها مرة ونصفاً ، ولأول مرة بدأت أكذب معها . كذبت لأننى مضطر لأكذب فى هذه الحالة فهى مدرسة جغرافيا وتعرف الكثير عن بلادنا وبلاد العالم ثانية . تعرف أن ليبيا قد تفجر فيها البترول بغزارة ، وأن دخل الفرد فيها حسب ما تكتب الصحف الأوربية لا يقل عن ٣,٠٠٠ ج ل فى السنة إذا ما وزعت الثروة توزيعاً عادلا ، تعرف هذا كله ولكنها لا تعرف ، إننى والموظفين أمثالى ، غالبية الموظفين ، لا نملك حتى بيوتاً للسكن ومرتباتنا قد لا تغطى مصروفاتنا النثرية .

مضت تلك الليلة ووصلنا فى الصباح الباكر إلى عاصمة الأنس

«فينا » وقد أسرعت قبل أن يقف القطار إلى حيث زميلى ، فوجدته يستعد للنزول بعد أن فتش جميع غرف القطار بحثاً عنى . أعنى جميع غرف الدرجة الثانية ولم يتطرق إلى ذهنه أننى فى إحدى الغرف الخاصة ، وجن جنونه بتسرب الشك إلى نفسه أننى قد نزلت خطأ فى المحطات قبل أن نصل إلى فينا ، وعاتبنى فى غضب ظاهر مشوباً بفرحة عودتى إليه . نزلنا من القطار وتوجهنا إلى مكتب الاستعلامات نستفسر عن عنوان بيت الشباب ومن مكتب استعلامات ركبنا الترام رقم ١٨ إلى محطة قريبة من بيت الشباب الثالث فى عاصمة النمسا . وهو بناء فخم تحيط به حديقة عامة مترامية الأطراف ويقع فى قلب المدينة ، كان قد شيد على أحسن نظام لبيوت الشباب العالمية ، به صالة عامة للسهرات ومطعم كبير وميدان لمختلف الألعاب الرياضية وحمامات للسباحة ، ومتجر كبير لبيع جميع لوازم الحياة وبه أيضاً مكتب للاستعلامات واستوديو للتصوير ، وأشياء أخرى كثيرة ، دخلنا إلى الإدارة ، فاستقبلتنا المديرة استقبالا حسناً ، وأبدت لنا أسفها الشديد عن عدم وجود أماكن شاغرة بغرف النوم . ولكن وعدت بأن تحاول لنا قدر الإمكان الحصول على أماكن .

واتصلت حالا بالمشرفات على عنابر النوم تسألهم عما إذا كان فى الإمكان إضافة سريرين فقط لأحد العنابر ، وأخبرت بالنفى ولكن

هناك غرفة بها سريران قد أخليت من طرف مؤجريها ولم تكن تعلم المديرة بسفرهما بعد فأمرت مخبريها بحجزها وترتيبها لنا وبعد وقت قصير كنا نضع حقائبنا داخل تلك الغرفة ، ثم خرجنا إلى استراحة البيت ، فإذا بنا نجد كالعادة مئات من شباب العالم ، غير أن فى هذه المرة كانت الغالبية العظمى منهم من شباب البرازيل وقد كانوا فى طريقهم إلى فنلندا لحضور مؤتمر الشباب العالمى من أجل السلام . جلسنا فى الاستراحة وطلبنا مشروباً بارداً . ولم يمض طويل وقت . حتى بدأ الجميع بدافع الفضول يحاول التعرف علينا . وكنا نرتدى لباساً وطنياً أنيقاً لفت أنظار الجميع . وأحدثكم القول . أننا تعبنا ذلك اليوم من تملية عناويننا لنفاذ الكروت المطبوعة التى حملناها معنا وتمض ساعة من الزمن نخرج بعدها للفسحة والفرجة على المدينة وتخرج معنا مجموعات الشباب فإذا بنا نشكل مظاهرة كبرى تخترق الشوارع والميادين وانتقلنا من مكان إلى مكان وبين الحين والحين ينضم إلينا شباب كثير من سكان المدينة نفسها بسبب لباسنا الوطنى الأنيق . والذى أظهرنا بين تلك المجموعات من الشباب بمظهر الأمراء غير أنه تضايقنا كثيراً من مجاملة طلبات الجميع بالظهور معهم فى صور تذكارية . ولم يكن فى ذلك اليوم أحد وقع علينا نظر . إلا وعرف ليبيا . وموقعها ونظام الحكم فيها وأحوالها بصورة عامة . وقل أن تجد من الأوربيين من يعرف ليبيا . وغالباً ما يظنها ليبيريا . أو لبنان

لتشابه النطق بكل من هذه الأسماء . وكنا نصحح الأخطاء . ونعطيهم مزيداً من التفصيلات ونجد فى لذة تناهيها لذة بالطبع . وانتهى اليوم وجاء الليل وكان ذلك اليوم قد مر فى لمح البصر . وبعد العشاء كانت حفلة كبيرة أحياها شباب البرازيل فقدموا فيها ألواناً من فنونهم الشعبية الجميلة . وكنا ضيوف شرف تلك الحفلة . بدعوة رسمية من مديرة شباب البرازيل فى هذه الرحلة . واستمر الحفل إلى ما يقارب من الرابعة صباحا . شاركنا فيـــه بشىء جميل من فننا الشعبى « الفلوكلور » نال إعجاب الجميع ، وتلقينا من أجله سيلا من التهانى الشفهية من جميع الحاضرين وهم كما قلت من جنسيات مختلفة وكانت والحق يقال الألوان الفنية التى قدمتها فرقة البرازيل رائعة جداً حازت استحسان الجميع وثناءهم ، وقد كسبت البرازيل بهذه الفرقة دعاية لصالحها مالم تحققه سفارتها فى جميع بلدان العالم ولمدة سنوات طويلة .

وهـذا هو الاتجاه الحديث لـكسب الدعاية الذى تعارفت عليه جميع دول العالم ، وهو جد ناجح ، وبالأمس القريب سمعنا بالمسرح العائم الذى قامت به الجمهورية العربية المتحدة ، ويزور حالياً مجموعة دول حوض البحر الأبيض المتوسط ويضم جميع الفرق المهتمة بالفنون الشعبية القديمة (الفلوكلور) .

إلى سالزبورق

وصلنا مدينة الجندول « فينتسيا » أو البندقية وهى مدينة سياحية قائمة على رأس بحر الأدرياتيك ، وتأتى شهرة هذه المدينة السياحية ، من تخطيطها على الماء ، فهى مدينـــة عائمة شوارعها ماء وأزقتها وكذلك ميادينها ، والانتقال فيها بواسطة القوارب الصغيرة أو سيراً على الأقدام وحتى بالسيارات التى تسير على الكبارى وفوق أرصفة معدة لذلك والقطارات التى تأتى إليها من مختلف جهات إيطاليا تسير مسافة طويلة فى وسط الماء وهى لهذا كله يقصدها آلاف السواح من كل أنحاء العالم فى مواسم السياحة وبمختلف وسائل الانتقال .

وصلناها على الساعة العاشرة صباحاً ، وأقلعنا منها السادسة مساء وذلك لأننا لم نتخذ الترتيبات اللازمة للمبيت فيها ، قطعنا المسافة من فينتسيا إلى الحدود الشمالية الشرقية الواقعة بين النمسا وإيطاليا قبل العاشرة بالقطار السريع ، وكم تعجبنا من قوة الإنسان وجبروته العظيم فى قهر الطبيعة ونحن نعبر سلسلة جبال الإلب عبر الأنفاق العظيمة ، والتى يستغرق فيها القطار ربع ساعة كاملة بسرعة ١٠٠ ميل فى الساعة واصل بنا القطار سيره نحو مدينة الأنس عاصمة النمسا فينا ماراً ببلاد كثيرة واقعة على خط سيره ، وفى القطار كانت دنيانا جميلة ونحن نلتقى بشباب كثير ومن مختلف الجنسيات غير أن الغـالبية العظمى منهم

وإن تحدثنا عن حرية الفتاة فى فيينا والنمسا بصورة عامة فإننا نقول : لا تختلف كثيراً عن حرية أية فتاة فى أوربا فهى حرية المرأة الغربية ، وليدة هذا العصر بمادياته البعيدة عن الروح ، حرية قد تعجبنا نحن الشرقيين فى بعض الوجوه ولكنها لا تروقنا على كل حال فى أغلب الوجوه ولا أريد أن أكتب بحرية فى هذا الخصوص خوفاً من الزلل ، والوقوع فى (اللاخلاقية) .

غادرنا فيينا بأنسها وجمالها متوجهين إلى مدينة بتهوفن وعاصمة الموسيقى الكلاسيكية فى أوربا حيث قضينا بها ثلاثة ايام كانت أجمل أيام الرحلة جميعاً ، وركبنا القطار من فيينا صباحا فوصلناها بعد الظهر توجهنا حال وصولنا إلى بيت الشباب ، لترتيب إقامتنا ؛ وبعد استراحة قليلة كنا نجوب الشوارع الفسيحة وننتقل من حى إلى آخر عبر كبارى مقامة على نهر عظيم يخترق المدينة ، وكان المطر يهطل على الدوام فى هذا الفصل بالذات (الصيف) ولا بد للذى يريد الخروج من استعمال المضلة الواقية أو المعطف لاتقاء المطر ، وقد تفنن أهل أوربا الممطرة فى صنع المضلة الواقية بحيث لا تفسد على الرجل ولا على المرأة أناقتها فقد صنعت لها أغلفة توضع فيها عند عدم الاستعمال ، فتعد من مكملات أناقة المرأة ؛ كالشنطة مثلا .

خرجنا نتفرج لأول مرة على مدينة سالزبورق الجميلة ؛ وكانت جميلة

حقاً ، جميلة فى كل شىء ، ميادينها وحدائقها ، وأهلها وحتى كنائسها وفوجئنا أثناء تجوالنا ، أنا ورفيق وشاب آخر من تونس وبينما كنا نتحدث باللغة العربية بين جميع الذين يتكلمون الألمانية حتى العرب منهم ، والذين يعيشون فى سالزبورق وأغلبهم من الطلبة ، كان اثنان من الليبيين ، يسترقون السمع ويتبعوننا على مهل ، وفجأة يشاركنا الاثنان الضحك إعجابا ، بقهقهة حلوة صدرت من زميلنا التونسى ، وما هى إلا لحظات كنا بعدها نتحدث مع بعض ، عن الوطن وأخبار الأهل والأقارب والأصدقاء بعد أن عرفنا أن الأخوين من ليبيا وهما : الأمين شقليلة وحسين الأزرق ، من الطلبة الذين يحضرون للدكتوراه فى ألمانيا ، قد جاءا فى رحلة استطلاعية لمدينة سالزبورق مع مجموعة من الطلبة العرب فى ألمانيا بمناسبة الذكرى المئوية لوفاة عبقرى الموسيقى (بيتهوفن) وكانت سهرة قضيناها مع بعضنا فى إحدى الصالات الفخمة على أنغام الموسيقى الكلاسيكية ، وفى حديقة عامة واقعة على ضفة النهر الذى يخترق سالزبورق أنوار تنعكس على صفحة الماء وأشجار تحرك أغصانها نسمات باردة فى رفق وحنان ، رقص جميل بديع وعلى أنغام موسيقية كله من الفولكلور وفتيات فى عمر الورد وعلى جانب كبير من الجمال ، وحرية وشباب وفراغ كل ذلك قد صنع دنيا جميلة وعالم كله سرور وهناء ، وفى هذه الدنيا التى كان مكانها الحديقة العامة فى سالزبورق وزمانها من المساء

إلى تباشير الفجر عشنا ساعات كانت بحق من أجمل ساعات العمر ، وذكرياتنا فيها ستبقى على مر الزمن عالقة بالأذهان ومع الفجر عدنا إلى بيت الشباب ونسيت أن أقول لكم أننا أخذنا إذناً خاصاً من مدير البيت بالعودة فى غير الوقت المحدد وهو الثانية عشرة ليلا ، نمنا بقية تلك الليلة ، واستيقظنا قبل موعد الإفطار ، ثم تناولناه على عجل وخرجنا ننعم بما فى سالزبورق ، من أشياء جميلة محببة للنفس سواء منها الحسى أو المعنوى وكان والحق يقال وقتاً طيباً قضيناه فى سعادة متناهية ، ولم ينتهى هذا الجو الجميل إلا بمغادرتنا هذه البلدة إلى ميونيخ أكبر مدن جنوب ألمانيا وأقربها إلى النمسا وسالزبورق هذه التى أقمنا فيها ثلاثة أيام تقع على الحدود المشتركة بين ألمانيا والنمسا ، وسط هضبة خضراء ويخترقها نهر عظيم ، وهى عاصمة الموسيقى والأدب بالنسبة لألمانيا والنمسا على السواء ، وبها قلعة تاريخية شهيرة تقع فى قمة جبل عظيم يشاهدها آلاف السواح من جميع أنحاء العالم كل سنة ، ويصعدون إليها بقطارات صغيرة تسير بالذرة .

ركبنا القطار من سالزبورق آخر مدينة ودعناها فى البلاد النمساوية الجميلة إلى ميونيخ وهى آخر سفرة لنا بالقطار فى هذه الجولة التى استمرت شهرين كاملين كما أسلفت ، إذ بدأنا فى استعمال طريقة (الأوت ستوب) .

فى ميونيخ

كان القطار يسير وسط أرض خضراء ، متنوعة التضاريس بين سهول وجبال وأنهار وهضاب ، تبعث فى النفس الراحة والاطمئنان ، أرض عامرة بالسكان على طول الطريق من سالزبورق إلى ميونيخ عاصمة الجنوب الألمانى ومن كبريات المدن الصناعية . وصلنا ميونيخ بعد مسيرة ثلاث ساعات بالقطار السريع ، وحال وصولنا توجهنا كالعادة إلى بيت الشباب للحجز فيه لمدة ثلاثة أيام ، هى المدة المقررة فى برنامج الرحلة .

كان بيت شباب ميونيخ من أجمل بيوت الشباب فى أوربا ، وهو عبارة عن عمارة كبيرة على أحدث طراز تتكون من ست أدوار ، ومجهز بأحدث مكيفات الهواء ، وبه جميع لوازم الحياة العصرية من ضرورية وكمالية ، ملحقة به صالة كبرى لمختلف الألعاب الرياضية الذهنية ، والجسمية الخفيفة ، وهناك أيضاً حديقة كبيرة تابعة له ، وحمام للسباحة ، وملاعب للكرة الطائرة ، وكرة السلة ، وفى هذا البيت بار صغير أنيق ؛ ومكتبة جامعة ؛ ومكتب للاستعلامات وأبرز ما استرعى انتباهى فى هذا البيت استعمال اللغة العربية فى إجراءاته الرسمية ؛ إلى جانب الألمانية والإنجليزية والفرنسية والإيطالية ؛ ويشتغل فى إدارة هذا البيت أكثر من عشرين موظفاً

وموظفة من قوميات مختلفة بما فيها العربية ، فهناك شاب من الجمهورية العربية المتحدة يشتغل فى قسم الإدارة ؛ وآخر من الجمهورية التونسية فى قسم الترجمة .

كانت إقامتنا فى هذا البيت ممتعة ومفيدة للغاية من حيث الاتصال بالأقوام الآخرين وتبادل وجهات النظر معهم فى جميع الأحداث العلمية والسياسية والاجتماعية ، وذلك لكثرة الوافدين على هذا البيت من الشباب الرحالة على اختلاف جنسياتهم إذ أن مدينة ميونيخ هذه من كبريات المدن الألمانية كما أسلفت ؛ وبها كثير من المعالم الأثرية التى تجدر مشاهدتها ؛ وهى المدينة التى أحرق فيها هتلر ورفاقه ما يقرب من ٦٠٠٠ يهودى إبان حكمه النازى ، ولا تزال إلى الآن الأفران التى أحرقوا فيها فى ضاحية تبعد عن المدينة بحوالى ٣٠ ك . م تقريباً ، كما يوجد بها أكبر متحف فى ألمانيا جامع لكل طارف وتليد ، كان اليوم الأول من إقامتنا فى هذه المدينة قضيناه فى زيارة المتحف وبعض المعالم الأخرى القريبة منه ، وكان يوم أفدنا فيه فائدة عظيمة فى جميع مجالات البحث والاطلاع ، وفى المساء وقبل الثانية عشرة من الليل كنا نقضى وقتنا فى بيت الشباب متنقلين بين الحديقة وصالة الألعاب والسهرات العامة مستمتعين بالجو الجميل الذى ينبعث من كل جهة فى البيت إلى أبعد حدود الاستمتاع ، واتصلنا فى هذا المساء بشباب من العالم العربى من تونس والمغرب والجمهورية العربية

المتحدة وسوريا ولبنان والجزائر ، وكانت الأكثرية منهم من الجزائر وأغلبهم من الطلاب ، فكان لقاء عربياً ، تجلت فيه الأخوّة العربية ، والتضامن العربي الصادق ، وكنا نشرب نخب الانتصار انتصار العروبة فى الجزائر على قوى الظلم والاستبداد ، والاستعمار البغيض الذى يعمل على قهر الشعوب وإذلالها ، وامتصاص خيرات أرضها أو تسخير قواها من أجل خدمته وصالحه العام ، وأحيينا بهذه المناسبة سهرة عامة ، قدمنا فيها برنامجاً حافلا حاوياً لمختلف فنوننا الشعبية فى الوطن العربى ، حضرها جميع الشباب الموجودين فى البيت من الجنسين والذين ينتمون لجنسيات كثيرة فى جميع أنحاء العالم ، وكان من بين فقرات هذا البرنامج ، محاضرة عن قضية فلسطين ، وحق شعبها الطريد فى العودة لأرضه السليبة ، واعتداء إسرائيل على العرب باغتصابهم قطعة عزيزة من الوطن العربى ، ووحشيتهم ومعاملتهم السافلة ، ومؤامراتهم الدنيئة على الأقطار العربية ، ودعاياتهم المغرضة ضدهم ، والاحتماء بالغرب ، فكانت حقاً محاضرة قيمة وضعت النقاط على الحروف وصححت الأخطاء ، وغيرت المعتقدات والأفكار فى أذهان الشباب من مختلف الشعوب وخاصة أوربا والعالم الحر عن قضية فلسطين ، وعرفوا كثيراً من الحقائق التى كانت مجهولة بالنسبة لهم لضعف الدعاية العربية ، وسيطرة إسرائيل على مختلف وسائل الإعلام والنشر فى الغرب ولا سيا أميركا . كانت هذه المحاضرة

باللغات التالية : الإنجليزية والألمانية والفرنسية والإيطالية . ألقاها بالإنجليزية أخ عربي من الجمهورية العربية المتحدة ، وبالفرنسية زميل من شباب المغرب . وبالإيطالية والألمانية شاباً من تونس ، وقد اغتاظ الإسرائليين الموجودين فى بيت الشباب وقدموا احتجاجاً رسمياً لمدير البيت عن تصرفات العرب هذه ، ولكنه لم يعيرهم اهتماما لأنه لا يملك أن يمنع أى أحد من أى تصرف خارج عن نطاق اختصاصاته والتى تتمثل فى إدارة البيت فقط من حيث النظام والمحافظة على راحة الشباب الوافدين وكان أن ازدادوا غيظاً على غيظ وفشلوا أن يقوموا بأى عمل ضدالعرب . مهما كان نوع هذا العمل . وعلى الأثر حزموا حقائبهم ورحلوا إلى غير ميونيخ من مدن الشمال فى ألمانيا .

كان اليوم التالى ، فكنت أنا وصاحبي على موعد مع القطار الذى يقلنا إلى الأفران التى أحرق فيها اليهود فكانت تبعدعن ميونيخ ٣٠كم تقريباً . شاهدنا هذه الأفران والمقابر التى دفن فيها اليهود بالجملة . وقد استغلتها إسرائيل فى الدعاية لنفسها . وكسب عطف الغرب عليها فتجد العبارات المكتوبة بجميع اللغات الحية يستدرون بها رحمة الشعوب وشفقتهم ، ومن الحديث عن هذه الأفران ننتقل إلى الحديث عن ، ميادين ميونيخ وشوارعها وحدائقها العامة ، ودور الملاهى فيها ، وكلها فى غاية الروعة والإبداع ، كنا قد قضينا يوما

الثالث والأخير فى الانتقال بينها مستمتعين بما فيها إلى آخر حدود الاستمتاع ، ومستفيدين منها الفائدة الكبرى بالنسبة للناحية الاستطلاعية . سافرنا صباح اليوم الرابع من إقامتنا فى ميونيخ قاصدين الشمال ، ومتجهين نحو ستوت قارد ، مدينة الخضرة والجمال ، وكنا قد بدأنا فى استعمال طريقة (الأوتستوب) ومن هذه المدينة أقصد ميونيخ لم ندفع أى مبلغ مالياً فى المواصلات أثناء تجوالنا فى جميع الأراضى الألمانية وكذلك سويسرا . وصلنا ستوت قارد عند الظهر فهى تبعد عن ميونيخ بحوالى ٤٥٠ ك . م ، فى سيارة نوع فرتاغس ، كان قد وقف لنا صاحبها عندما وجدنا على يمين الطريق خارج المدينة وهو ضابط سابق من ضباط روميل ثعلب الصحراء والذى قام بأكبر عمليات فى الصحراء عندما كان يحارب الحلفاء فى ليبيا ومصر وهى العمليات الحربية المشهورة فى تاريخ الحرب العالمية الثانية والتى كانت فاصلة بين المحور والحلفاء وانتهت بانتهائها الحرب الثانية . كان هذا الضابط يحدثنا عن صحراء سرت وإجدابيا والعقلية وعن مناظر الجبل الأخضر والكوف وطبرق والعلمين وسيدى برانى ومرسى مطروح وكأنه يتحدث عن مواقع فى ألمانيا ، وذكر لنا شيئاً من ذكرياته أيام الحرب وعلى الأخص ما وقع له فى ليبيا ومصر وتونس أثناء الانسحاب ، كما كان يتحدث بكلمات عربية دارجة بعضها من تونس وبعضها من مصر وليبيا بين الحين والآخر . وصلنا ستوت قارد

فقصدنا بيت الشباب وحجزنا فيه لمدة يومين زرنا خلالها أهم معالمها وأهمها برج التلفزيون والذى يبلغ ارتفاعاً عظيما ، وقد شيد فوق قمة جبل شامخ يشرف على المدينة ، ومن هذا البرج يتفرج السائح على المدينة وكأنها خارطة صغيرة موضوعة أمامه ، ومن أهم المصانع التى توجد فى هذه المدينة . مصنع سيارات المرسيدس الشهيرة فى جميع أنحاء العالم .

كانت إقامتنا فى ستوت قارد جميلة ومفيدة على الرغم من قصر المدة التى بقيناها بها . ومنها سافرنا إلى فرنكفورت أكبر مدن الوسط وفى هذه المدينة أقمنا ثلاثة أيام والتقينا فيها بمجموعات كبيرة من الشباب العربى من كل مكان بما فيهم الليبيين . وفى اليوم التالى لإقامتنا فى هذه المدينة . قمنا بزيارة لحديقة الحيوان وهى أكبر حديقة للحيوانات فى أوربا بعد حديقة لندن ، ثم زرنا دار الأوبرا والمتحف البلدى ، ومحطة السكة الحديد للقطارات ، وتجولنا فى جميع الحدائق والميادين . كما أقمنا حفلة صغيرة ببيت الشباب بالاشتراك مع مجموعة من شباب المغرب قدمنا خلالها مجموعة من ألوان الفنون الشعبية . كالرقص والغناء والعزف وبعض الألعاب الرياضية والتمثيليات الصامتة نالت استحسان الجميع . وبعد انتهاء إقامتنا فى فرنكفورت رحلنا نحو الشمال متجهين صوب كولن وهذه مدينة كبيرة على مقربة من بون عاصمة ألمانيا الغربية السياسية .

وفى هذه المدينة قضينا ثلاثة أيام كالعادة وفى بيت الشباب غادرناها بعد ذلك إلى هانوفر ، وهى مدينة واقعة بين برعين وبرلين ، وفى هانوفر اقمنا يوما واحدا سافرنا بعده إلى برعين ، مدينة كبيرة تقع فى الشمال الغربى من ألمانيا الغربية ، وهى ميناء تجارى ضخم ولا تبعد عن أمستردام عاصمة هولندا إلا ساعات قليلة .

كان لقاؤنا بالأخ عيسى أبو حوه ، أحد الشباب الليبى العصامى فى هذه المدينة ، فهو من شباب الكشافة ، وقد ارتحل فى أوربا قبل هذا الموعد بسنتين ، ولما أعجب بالحياة فى أوربا ، وهى الحياة الجميلة فى كل شيء قرر البقاء فيها ، وجاهد فى الحصول على شغل فاشتغل ، وأخذ يدرس ليتابع تحصيله العالى فى جامعات المانيا ، وقد تمكن من اللغة الالمانية إلى جانب الانجليزية ، وجاهد كثيراً فى الحصول على مكانة مرموقة بين الطلبة العرب والمغتربين فى أوربا .

نزلنا فى برعين وحال وصولنا إلى بيت الشباب وترتيب إقامتنا فيه ، توجهنا إلى الحى الذى يسكنه الأخ عيسى أبو حوه ، ونحن ننزل من الترام ونحاول اجتياز الشارع إلى الناصية التى يوجد فيها البيت ، إذ بنا نسمع أحدا يهتف باسمنا بصوت مرتفع ، فتلفتنا فإذا بنا نرى الأخ عيسى يسرع الخطى نحونا وقد ظهر عليه الفرح الشديد ، وما أن إلتقينا حتى كان العناق . عناق طويل حار وسلام وسؤال عن الأهل

والأقارب ، واستفسار عن الوطن وأخباره قديمة وما جد فيه .

كان مع الزميل عيسى ، فتاة على ما أذكر من (هانز لبرق) زميلة له فى العمل وكانا فى جولة خارج المدينة يقضيا أجازتهما الأسبوعية ، فاستأذن منها لمصاحبتنا إلى بيته ، واعتذر لهـا عن عدم استطاعته الذهاب معها إلى الملهى الذى قررا أن يسهرا فيه . ذهبنا إلى بيته ، فى عمارة كبيرة فى شارع جانبي يتفرع من شارع رئيسى كبير ، وهو عبارة عن شقة جميلة على أحدث طراز ومجهزة بجميع لوازم الحياة ، وهناك كانت لأول مرة الأحاديث باللغة العربية ، وللأحاديث شجون تحدثنا عن الوطن والأهل والأصـــدقاء ، والتغيرات التى طرأت ، والحوادث التى جدت بإسهاب وفى فرحة يشوبهـا الحنين إلى الوطن بالنسبة للأخ عيسى ،إذ كان لقاؤنا ذاك بعد سنتين من غيابه عن وطنه وكان بين الحين والحين يسأل عن فلان وفلان الذى تذكره بعد نسيان طويل . قضينا ساعات جميلة فى أحاديث شتى كانت قد أخذت كل اتجاه كان هو يسألنا عن البلاد بصورة عامة ، وعن إمكانية العيش فيها بالنسبة للموظف مثله ، وكنا نسأله عن الحياة فى أوربا وألمـانيا بصورة خاصة وإمكانية العيش لنهرب من الوظيفة وقيودها ، والتى تطعمنا خبزاً وماء ، فكان يهرب من إعطائنا فكرة كاملة ،ولم يشجعنا على الهجرة كما هاجر ، وكنا قد حسدناه على بحبوحة العيش التى هو فيها ، وقررنا الهجرة مثله بأى ثمن ، ولـكن ليس كل ما يتمنى المرء

بدركه ، يظهر أنه مازال مكتوباً لنا أياماً نقضيها مكبلين بأغلال الوظيفة فى ليبيا ، وفى عيش لا نحسد عليه كما هو الحال .

تناولنا طعام العذاء وكان لأول مرة طيلة الشهرين اللذين قضيناهما فى الرحلة ، نتناول طعاماً ليبياً صميما فى طهيه وفى تركيبه ، كانت المكرونة بالصالصه ، والسلاطة المشكلة ،والفلفل الأحمر والأخضر أيضاً ، وكان الشاهى الليبى (بالكشكوشة) وثلاث طاسات بين الأولى وتاليتها مدة زمنية لاتقل عن ساعة كاملة ، لايضيرنا ذلك ، فنحن فى أجازة وهو كذلك .

خرجنا فى المساء نجوب شوارع المدينـــة وميادينها فى جولة استطلاعية استمرت حتى العاشرة مساء . وعندها قصدنا ملهى صغيراً أنيقاً ، تناولنا فيه شيئاً من المرطبات ، على أنغام موسيقى الجاز ، وتنبعث بين الحين والحين موسيقى لرقصات متنوعة كلها من الغرب ، مثل الروك أندرول والتويست والتشاتشا ، ويتحرك الجميع ليرقصوا على هذه الأنغام .

كانت ساعات جميلة قضيناها فى مرح وانشراح بعيدين عن مشاكل المجتمع ومتاعب الحياة بعدنا عن ليبيا ، واستمرت سهرتنا حتى الثانية عشر تقريباً ، خرجنا بعدها إلى بيت الشباب لننام ، على أن نستأنف صباح اليوم التالى جولتنا فى بقية أحياء المدينة ومعالمها الأثرية ومتاحفها وملاهيها ومصانعها .

ولا يفوتنا أن أذكر أننا إلتقينا فى هذه المدينة بأخوين ليبيين أخرين هما على سويس و بشير أبو زيد ، وهم من العاملين الدارسين هناك ، وقد اصطحبونا هم أيضاً فى جولات مماثلة فى أنحاء المدينة . وبعد أيام كنا نحزم أمتعتنا ونشد الرحال متجهين صوب الشرق ، قاصدين برلين مارين بهانوفر المدينة التى كنا قد زرناها من قبل .

خرجنا من برعين فى الصباح الباكر ، وكنا نستقل الترام حتى مشارف المدينة ، لنأخذ بعدذلك (الأوت استوب) وعند مرور الترام بإحدى المحطات ، ركبت فتاة شقراء على درجة كبيرة من الجمال تخالها ممثلة من هليوود ، ترتدى بنطلوناً أحمراً قانى وبلوفر من الصوف فى لون زرقة السماء ، ومعطفا واقياً للمطر ، كان شعرها أفتح من لون الذهب قليلا ، وعيناها فى خضرة ربى مدينة فينا ، يداها بضتان فى لون العاج ، وساقاها كأنهما البلور ، لها حاجبان رقيقان شعرهما أسود مشوبا بحمرة ، شفتاها كحبة الكرز وأنفها يرتفع قليلا من الأمام ، يوحى إليك بأنها متكبرة ولكنه يضفى عليها جمالا خارقا لمقاييس الجمال ، فتاة فى عمر الورد ، تحمل فى يدها حقيبة يدوية صغيرة أنيقة مرصعة بالجواهر وبمقبض من ذهب ، وتلبس فى يديها قفازاً أبيضاً جميلا ، ركبت الترام ولم تجلس على الرغم من أنه هناك أكثر من مكاناً شاغر وكأنها تخاف على بنطلونها الذى يلتصق بجسمها ، ويجسم مفاتنها

فى صورة تدور لها الرءوس من الانثناء ، أو لعلها ستنزل فى المحطة القادمة فلا داعى إذاً للجلوس .

استمرت واقفة كالتمثال الجامد ، ويدها فى مكمش الترام ، يهتز الترام بين الحين والآخر من بعض المطبات الخفيفة ، فيهتز صدرها الذى يبرز أمامها فى أنوثة صارخة اهتزازاً خفيفاً ، يبعث على الإغراء أكثر مما لو بقى جامداً فى مكانه لا يتحرك كبقية جسم صاحبته الذى بقى جامداً كالتمثال .

وما هى إلا دقائق ووقف الترام فى آخر محطة له ، فنزلت ونزل الجميع ، وسارت على الطوار شامخة بأنفها إلى السماء ، وفى خطوات رتيبة فيها إغراء ، وكنا نمشى وراءها بحكم الطريق الواحد الذى يجب أن نسير فيه لأننا كنا نقصد اتجاهاً واحداً .

وما هى إلا دقائق أخرى ، وصلت بعدها الفتاة التى كنا نخالها ممثلة من هليود إلى محطة كبيرة للبنزين ، ودخلت لتوها غرفة جانبية فى المكتب ، ثم خلعت ملابسها ، وخرجت ترتدى (قامجو) الشغل . وكان قد أخفى كل معالم الأنوثة فيها . ولم يعد يستبين من جمالها إلا وجهها الصبوح ، حتى شعرها كانت قد جمعته فى كومة صغيرة تحت برنيطة كبيرة أشبه بالمظلة ، خرجت بهذا الزى الذى لم نألف رؤيته إلا على أجسام الرجال ، وأخذت تدير مفاتيح مستودعات الوقود

على اختلاف أنواعها ، وتملء خزانات السيارة فى سرعة ودقة تفوق الرجال .

هذا نموذج للفتاة العاملة فى ألمـانيا ، والعمل فى أوربا مهما كان نوعه بصورة عامة ، وألمـانيا بصورة خاصة تشترك فيـه المرأة مع الرجل سواء بسواء . بل لامكان لها غير العاملين فى الحياة هناك .

خرجنا من برعين عنـد الساعة العاشرة تقريباً قاصدين برلين فى ألمانيا الشرقية ، ولبعد المسافة قررنا المبيت فى هانوفر على أن نواصل السفر فى صباح اليوم التالى ، وفى هـذه المدينه كان القدر يدخر لنـا مفاجأة ، قصـدنا بيت الشباب وكنا نعرف طريقه لأننـا قد بتنا فيه من قبل ، ولـكن والقدر يتربص بنا كما قلت وجدناه قد استكمل جميع أماكنه الشاغرة ، فذهبنا لغيره . وبعد محاولة حصلنا على أماكن ،ولما رتبنا إقامتنا،جلسنافى الصالة نستريح قليلا ، وما أن أخذنا زجاجة من الليمونادة ، حتى أقبلت علينـا فتاة لا تتجاوز السابعة عشر من عمرها تسير فى تؤدة وتضع على عينيها نظارة سـوداء محاطة بإطار ذهبى ، واستأذنت فى الجلوس فأذنا لها مرحبين على عادة الليبيين مع الجنس الآخر وفى كرم العرب .

وكان الحديث والأسئلة والأجوبة ، ثم كان بعدها حب كحب روميو وجوليت بينها وبين صاحبى ، حب بينهما ولـكن من طرف

واحد على ما أعتقد. كان منها هي فقط، لا أنكر أنها كانت على جانب كبير من الجمال، ولكنها أيضاً على جانب أكبر من الإلحاد، بل ملحدة الإلحاد كله، فهي لا تعترف بوجود الله ولا بالجنة ولا النار ولا اليوم الآخر ولا العذاب ولا الحساب، فهي تعيش ليومها وتتصرف بوحي من ضميرها مهما كان هذا الوحي خير أو شر.

وفي الحقيقة هذه هي نزعة أغلب شباب أوربا في هذا العصر، كان حبها كما قلت لصاحبي جارفاً، علمها لأول مرة البكاء، ولم تكن تعرفه من قبل، واعترفت بأنه حرقة نار يصعب إطفاءها لم أذكر لكم جنسية هذه الفتاة، فهي: مجرية من بودابست، ولا أخالكم تجهلون جمال المجريات. وقوام ورشاقة البودابستيات على وجه الخصوص، كادت هذه القصة الغرامية أن تربط بين ليبي ومجرية إلى الأبد وتقرر استمرارهم الدائم إما في طرابلس الغرب وإما في بودابست غير أن القدر تدخل مرة أخرى وانتهت قصة الحب بسفرنا قبل أن تستيقظ هي من نومها سافرنا قاصدين برلين ولبعد المسافة لم نصل إليها إلا بعد عشرة ساعات تقريباً، وصلنا برلين عبر طريق جميل محفوف بالغابات والمزارع الواسعة وبين كل مسافة وأخرى نمر بمدن جميلة ومحطات استراحة على أحدث نظام وبها جميع مستلزمات السفر من مأكولات وغيرها. وفي برلين نزلنا في القطاع الغربي في أحد بيوت

الشباب . وكانت الفائدة التى حصلنا عليها من وراء زياراتنا لأهم معالمها كبيرة جداً . وفى برلين الغربية قمنا بأظرف نادرة لكى نلتقى بأحد الأصدقاء الليبيين المغتربين فى برلين ، كنا نعرف أن هذا الصديق موجود فى برلين ولكن لم نكن نعرف عنوانه بالضبط ، وتعبنا كثيراً فى البحث والسؤال عنه ولا أحد يذكر لنا عنوانه بالضبط . وأخيراً اهتدينا إلى طريقة يمكننا بها الالتقاء به ارتدينا الزى القومى وجلسنا فى مقهى بالميدان العام (البانهوف تسوخ) وما هى إلا دقائق إلا وصاحبنا جاء يستحث الخطى نحونا . والتقينا وكان أيضاً لقاؤنا بكل الليبيين الموجودين فى برلين . ومع الصديق المغترب الذى كنا نبحث عنه ذهبنا إلى بيته ، وهو يسكن مع أسرة ألمانية فى منتهى الطيبة . وهناك تناولنا طعام الغذاء وشربنا أقداح القهوة الألمانية . والقهوة على الطريقة الألمانية تقدم فى أباريق كبيرة ويحتسى منها أقداح متتالية حتى الارتواء (بالشبعة) وعند المساء خرجنا نستكمل مشاهدة مالم نشاهده من قبل . ثم كان اليوم الثالث عندما ركبنا الترام لزيارة القطاع الشرقى من برلين . وهناك كنا أمراء الزائرين. كان لباسنا القومى هو جواز المرور . لم نفتش كما يفتش غيرنا من الوافدين الزوار على برلين الشرقية ، واستقبلنا بحفاوة بالغة من طرف شرطة القطاع الشرقى ثم صحبنا ضابط كبير لإرشادنا عند تجوالنا فى المدينة قضينا يوماً واحداً فى القطاع الشرقى . ومن ملاحظاتنا عنه المستوى

المتقارب فى المعيشة بين الناس فليس هناك طبقات بالنسبة لرأس المال وإن وجدت فروق فهى متقاربة ، فالكل يعيش ولا يملك ، والمعيشة حسب القدرات وطبعاً تختلف القدرات ، أقصد القدرات المنتجة وأهميتها للدولة ، لا أريد أن أتعرض لتفصيلات أكثر قد تتسم بالسياسية ، هذا هو القطاع الشرقى لا يفصله عن القطاع الغربى سوى سور يمتد من طرفيه حتى يصل إلى السور الكبير المحاطة به برلين بقطاعيها الشرقى والغربى معاً ، سور عادى جداً لا أهمية له من حيث هندسة بنائه فهو ليس كسور الصين العظيم مثلا ولكن له أهمية سياسية كبرى ، فهو الخط الفاصل بين الغرب والشرق بين الرأسمالية والاشتراكية ، وبين العالم الحر والدول الشيوعية ، وعلى طول هذا السور جنود يحملون السلاح ، ويفصلون بين القطاعين بالقوة . عدنا من القطاع الشرقى فى مساء اليوم لأننا لم نرتب إقامتنا فى برلين الشرقية ولم نأخذ إذناً من السلطات المختصة بذلك ، وواصلنا إقامتنا وجولتنا فى القطاع الغربى مدة أربعة أيام ثم رحلنا عبر الأراضى الألمانية متجهين صوب الجنوب مزمعين دخول سويسرا للقيام بجولة فى جميع مدنها ومقاطعاتها الرئيسية ، ولم نستطع الارتحال فى هولندا وبلجيكا وذلك لسبب بسيط قد لا ينتبه إليه أغلب الذين يحصلون على جوازات للسفر . هذا السبب الذى يمنعك من زيارة هولندا وبلجيكا فى آن واحد أى أن تخرج من أحدهما لتدخل الأخرى هو :

عدم طلبك فى الجواز للكسمبورج ، فهناك معاهدة بين هذه الدول الثلاث تقضى بخصوص تأشيرات الدخول . خرجنا من برلين صباحاً قاصدين سويسرا كما قلت ، ولبعد المسافة لم نصل إليها إلا اليوم الثانى ليلا . وكانت أول مدينة دخلناها (بازل) ومنها انتقلنا إلى برن العاصمة ثم إلى لوزان ، ومنها إلى جنيف ، وفى سويسرا كانت الطبيعة تشكل تضاريسها بين الجبال والأنهار . والغابات والأودية والسهول ثلج بين قمم الجبال ومياه تجرى مكونة شلالات على سفوحها وأنهار متلاطمة فى الأودية تحتها . وغابات وقرى ومدن مكونة مع الطبيعة منظراً ساحراً .

كانت والحق يقال مناظر سويسرا جميلة للغاية ، تبعث على الراحة النفسية وتغرى بالبقاء فيها مدة أطول ، استمرت إقامتنا فى سويسرا سبعة أيام ، وقد التقينا فيها بأخوين ليبيين من الشباب الرحالة ، وتوحدت رحلتنا فيما بعد إلى أن وصلنا جنيف ، ومن هنا سافرت أنا وحدى إلى أفيان فى الأراضى الفرنسية للاسراع فى العودة إلى أرض الوطن . وذلك لظروف طارئة وبقى الإخوة الثلاثة ليسافروا بعدى بيوم واحد إلى باريس ، واتفقنا على أن نلتقى هناك ، ولكن لم نلتق إلا فى ليبيا وبعد عشرين يوما سافرت بطريقة (الأوتستوب) إلى إفيان ومنها إلى ديجون ثم إلى باريس .

وصلت إلى باريس على الساعة العاشرة مساء وحاولت المبيت في بيوت الشباب ، ولكن دون جدوى ، كانت كلها غاصة بالوافدين من الشباب الرحالة من مختلف بلاد العالم ، نمت تلك الليلة بعد أن دفعت خمسة عشر فرنكا جديداً أي ما يساوي ١٥٠ قرشاً ليبياً ، مبلغا يكفيني للبيت في بيوت الشباب مدة لا تقل عن ١٥ يوما وقد أثر دفعي لهذا المبلغ في ميزانيتي العامة مما عجل بي للعودة بسرعة ، استمرت إقامتي في باريس ستة أيام غادرتها بعد ذلك إلى مرسيليا ثم إلى تونس عن طريق البحر ، ومن هذه إلى ليبيا عن طريق البر طبعاً .

كانت إقامتي في باريس في بيت للشباب في حي سان جرمان على مقربة من الشانزليزيه ، أجمل شارع وأكبره في العالم ، والحي اللاتيني الذي هو خليط من الأجناس البشرية من كل مكان ، فيه العجب العجاب متنا قضات الدنيا جميعاً ، مذاهب متعددة ، ونزعات مختلفة ، فلاسفة ، ومجانين ، وفقراء وأغنياء ، سود ، وبيض ، متعلمين ، وجهلة ، عمال وصناع . أصحاب حرف وأصحاب أفكار أرستقراطيون وسوقه ، رجال دين وملحدين ، وما شابه ذلك .

لم يشدني قصر فرساي الشهير . ولا برج إيفل العظيم . ولا قوس النصر . ولا كورنيش نهر السين ولا الحدائق ولا حتى كهوف الوجوديين بقدر ماشدني الحي اللاتيني إليه . وذلك لما فيه من دراسة

مستفيضة لحياة ساكنيه وللمادة الدراسية المتوفرة والميسورة الحصول
هذا هو الحى اللاتينى : شاب يرتدى شورت وفى رقبته سلسلة ذهبية يسير فى خيلاء . وشيخ مسن يتوكأ على عصى ويضع على رأسه برنيطة قديمة وفى فمه مدخنة ، يأخذ منها نفساً بين الحين والآخر يسير فى بطء شديد وقد انحنى ظهره تحت تأثير السنين الطويلة التى عاشها ، وهذا طفل لايتجاوز العاشرة من عمره يقلد بيكاسو فى رسومه على الحيطان . وفنان آخر أمسك بقطع الطباشير وأخذ يلون صورة فتاة حسناء عارية تماما على الرصيف وقد سلك فى رسمه التجريد . وهذه حسناء شـــقراء ترتدى بنطلوناً أسود اللون وارتدت فوقه قميصاً يظهر من المفاتن أكثر مما يخفى . وسرحت شعرها على طريقة فرح ديبا . ووضعت بين شفتيها الرقيقتين سيجارة من النوع الفاخر وأخذت تأخذ منها النفس تلو النفس فى عصبية شديدة وتضحك أحياناً بصوت مسموع فى هسترية مجنونة . وتتكلم فى احتجاج مع زميلة لها لم توهب من الجمال حظاً . ولكن يظهر أنها وهبت من العقل نصيباً وافراً . وهذا أسود من السنغال تتعلق فى ذراعه فتاة شقراء . تتثنى فى دلال وتزهو بصاحبها على الأخريات اللاتى يصحبهن رجال بيض . ولكن صاحبات السمر أقصد الذين فى سمرة شمال أفريقيا أكثر حظ من الجميع .

هذه نظرة بنات باريس للجنس الخشن . وهذا تصنيفهن للرجال أوربيون متمدينون حتى فاتوا الحد فانقلب إلى ضده وأصبحوا لا يميلون إلى الجنس الناعم كثيراً . وفى الغالب أصبحوا نواعم مثلهن وسود غجر يرضون جنسيتهن ولا يحسنون معاملتهن فهم لا يعرفون أصول الاتكيت مع النساء .

وسمر أخذوا بأسباب الحضارة ولم يغرقوا فيها مثل الصنف الأول فهم خير صنف تفضله نساء باريس لأنهم رجال متمدينون لم يتخلوا عن جنسيتهم . ويعرفون بروتوكولات النساء .

ربما خرجت عن وصفى للحى اللاتينى يا قارئ هذه النقطة . ولنعد إلى وصفه فنقول إنه حى المتناقضات . تجد فيه الحقيقة مجسمة وتخالها الخيال . قد تتصور أى شىء غير ممكن الحدوث فى أى بلد من البلاد ، حتى فى هامبروج وفى الربابون بالذات . ولكن لو ذهبت إلى باريس وإلى الحى اللاتينى على وجه الخصوص فإنك سترى ما تصورت أنه غير ممكن حدوثه . لا أريد الإفاضة فى الوصف ، فقلمى إما أن يعجز عن الوصف وإما أن يستحى من الوصف .

ولنعد إلى باريس عاصمة الحضارة والتمدين . ومدينة الوجودية ومهد الآداب الرومانيسية على اختلاف أنواعها . مدينة كبيرة تقع على نهر السين ، ولا تعرف لها غرباً ولا شرقا . آثارها فى كل مكان وأحياؤها الراقية والشعبية وميادينها وحدائقها وملاهيها فى كل مكان ،

والشهير فيها : قصر فرساى و (أفار دوليو) وبرج إيفل ، والأوبرا وقوس النصر . والشانزليزيه . وسان فرمان . وجامعة السربون . وكهوف الوجوديين . وكنائسها بصورة عامة وشوارع بائعات الهوا وصاحبات سيارات (الكارفيل) . وليس محل هذه المذكرات كتابة كل شيء عن العالم الباريسي المتناقض كما أسلفت . ولم يعد بإمكانى إجمال كل شيء فى هذا الجزء من المذكرات . وسأعود لتكملة الباقى فى الجزء الثانى منها وبتفصيل وأكثر وضوح . لم يبق معى سوى خمسة جنيهات (ترفيلير شيك) بعد أن حجزت فى القطار من باريس إلى مرسيليا ، ومن هذه إلى تونس بالباخرة وحتى أوفر عشرة قروش هى ثمن المبيت فى بيت الشباب ، سافرت بقطار الليل الذى يصل مرسيليا العاشرة صباحا ، ثم واصلت السير إلى تونس . وفى الباخرة تناولت وجبة طعام واستغنيت عن اثنتين . وعدت إلى ليبيا وفى جيبي جنيهان من الخمسة جنيهات وفى حقيبتى مسودة هذه المذكرات .

للمؤلف

تحت الطبع

١ — « من أغانى البادية »

مجموعة ازجال فى مختلف الاغراض

قدمها الأديب محمد الطاهر شقليلة

٢ — « صراع مع الأيام »

رواية اجتماعية تحكى قصة مكافح مجهول

فهرس

مطبعة النهضة العربية
ت : ٩٠٦٧٨٠

الثمن ٢٠ قرشاً ليبياً